

المرافعة في قضية التعذيب

الأستاذ/ أحمد جمعة

المحامي بالنقض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحن نؤمن أن الإنسان نفخه الله... وأنه فضله على جميع الخلائق.. بل وأمر الملائكة بالسجود له..

وأنّ واهب الحياة وحده هو الذي يملك أن يسلبها وأن يُعذبها أو أن يغفر لها إذا شاء.

وأن من أحيأ نفساً فكأنما أحيأ الناس جميعاً..

وأن من قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً

وأن من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً

فلا يُسرف في القتل إنه كان منصوراً..

كما أننا نؤمن إنه لا حق لحي إن ضاعت في الأرض حقوق الأموات.

وأن في جنة القتل دوماً تسكن الحقيقة مهما حاول القتل تغييرها...

واسمحوا لي أيها السادة الأجلاء

أن أنعي لكم حياتنا العقيمة.. وكلامنا المثقوب كالأحذية القديمة

وأقول لكم والحق أقول

أنه في بلد يتمدد فيه القهر كثعبان أسود.. لا يوجد مستقبل.

وفي بلد يُعذب فيه الناس لحد الموت.. لا يوجد مستقبل.

وفي بلد يُصبح فيه قانون الطوارئ أزيلاً.. لا يوجد مستقبل.

فنحن اليوم لسنا بصدد قضية فرد أو عدة أفراد نزعنا من قلوبهم الرحمة وإنما نحن إزاء سياسة منظمة ومقننه لدى هيئة الشرطة تلك الهيئة التي استعبدت الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً... وغداً كل فرد منهم فرعوناً بذاته..

ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد..

وإن نعتب فإنما نعتب أيضا على الجماهير الذلول التي تمطي لهم رقابها

فيركبون ويستعلون..

وصدق الله العظيم.. حين قال عن فرعون مصر..

[فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين]

سيحال الجلادين أن يجدوا لهم سبيلاً في تناقض الشهود..

غير أننا مطالبين بأن نقدر المسألة بقدرها لنعلم من يشهدُ على مَنْ؟!!

فصنف منهم ضعاف لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً يواجهون جبروت الطاغوت وهم يعلمون أنهم ربما يغيبوا وراء الشمس.. أو أن يلقوا ذات المصير الأسود المجهول..

وصنف قال كلمة الحق أو لا... ثم تعرض للتهديد فحاول تغيير شهادته أو جزء منها..

وصنف آخر باع نفسه للشيطان رخيصة لإرضاء سادته ومحاباتهم والتقرب إليهم أمثال صاحب مكتب للمحاماة..

والمستفاد من كل ذلك أن لهؤلاء المتهمين سلطانا ويملكون مصادر القوة والتأثير...

ولكن تظل هناك حقيقة واضحة وثابتة أن القتل مات من جرأ التعذيب ومن جرأ إصابات قاتلة بذاتها.. ويني أنه لو لم يمت لمات بغيرها راجعوا أيها السادة كم الإصابات بجسد القتل..

ثم ما هو التعذيب!؟

أليس في تقييد المجني عليه بالحبال والأغلال والقيود تعذيباً!؟

أليس في تعليق المجني عليه كالذبيحة تعذيباً!؟

أليس في منع الطعام والشراب عنه تعذيباً؟!

أليس في إلقاءه في حجره ضيقة رطبه تعذيباً؟!

أليس في تعصيب عينه وفمه تعذيباً؟!

أليس في منع زيارات أهله وذويه له تعذيباً؟!

أليس في منعه من قضاء حاجته تعذيباً؟!

لا..أليس في مطالعته لتلك الوجوه تعذيباً؟!

هل يريدون منا أن نصدق روايتهم المزورة أن المجني عليه كان في حالة هياج شديد ويقع عدة مرات على الأرض ويقوم ويتخبط في السيارات وكأنه فراشة في الهواء وأنه هو الذي أحدث الإصابات بنفسه.. وإذا كان ضابطين وقوة من المخبرين لم تستطع السيطرة على شخص ضعيف خائف مذعور.. فأحرى بهم أن يستريحوا في بيوتهم.. ويريحونا.

ثم

ما هو الدافع لتقييده بالحبال إذا كان مُنْهَك القوى..وكانه وحش في غابة أو أعالي الجبال.. أيستقيم هذا التصوير؟!

أقئ لهذا الأسلوب الفج..

إن هؤلاء الطغاة لن يرتدعوا حتى تصيبهم قارعة من السماء.

أو تحل قريباً من دارهم..إن الله لا يُخلفُ الميعادُ..

إن التعذيب في السجون وأقسام الشرطة هو الذي أفرخ الإرهاب

وذكاه إن المعاملة المهينة واللا آدمية من هؤلاء الناس بدءاً من أصغرهم وأقلهم شأناً وكانهم فوق البشر.. وفوق القانون.. وفوق المساعلة..

هي التي تهدد الأمن والسلام الاجتماعي..

إن الطغيان عادة تنمو داخل روح الإنسان حتى تصبح مرضاً..

ولئن سألتهم..

ليقولنَ إنما كنا نحمي النظام ونرعاه ونحافظ عليه..

ألا سحقاً لنظام يقوم على استعباد البشر..

وتباً لنظام يُهدر كرامة أبنائه..

" وتلك القرى أهلكتنا لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً "

فالدُّنْب لا يأكل لحم الدُّنْب..

ويأكل بعضنا بعضاً عياناً..

فما هؤلاء الناس لا يكادون يفقهون حديثاً!!

من الذي أعطى الحق حتى لمخبر.. مخبر.. أن يُعذب إنساناً..

ويسحق إنساناً.. ويقتل إنساناً..

هذا المخبر والذي لا تكاد تقع عليه العين وسط الزحام ولا يشار له بالبنان.. ماله ينقلب وحشاً.. نزعت منه الرحمة.. وهل

تنزع الرحمة إلا من شقي؟!!

مَنْ الذي أعطاه هذه القوة ونفخ فيها وذكأها؟!!

سؤال يلح ويعنينا الجواب

والسؤال الذي يطرح نفسه ثانية.. ما الذي دفع هؤلاء إلى تعذيب القتل حتى الموت؟!!

وهو الذي قالوا عنه أنه كان في قبضتهم ومقيداً بالأغلال..

ويرسف في القيود وفي حالة عصبية وهُياج شديد منذ السابعة صباحاً..

فلماذا استبقوه في قبضتهم ولم يعرض على النيابة؟!

لماذا استبقوه وقد أترف بجريمته وجرائم لم يرتكبها؟!

وهل غدت الشرطة خصماً وحكماً وجلاداً وقاضياً؟!

وهل كون المتهم مسجل إجرامياً يبيح لهم تعذيبه؟!

أليست نفساً؟! .. أليس منهي عنه ولو كان كلب عقور؟!

الثابت والمقطوع به

واستناداً إلى روايات الشهود.. وإلى تقرير الصفة التشريحية

وإلى رأي الطبيب الشرعي أنه كان في حوزتهم قبل التاريخ الذي زعموه ثم تقدم أشقاهم بمحضر تحريات مزور وأدخل الغش على النيابة فأذنت له .. ورغم هذا الإذن.. ظل المجني عليه مكبلاً بالأغلال وبالقيود حتى مات .. مات ..

ترى ماذا كان يريد هؤلاء القتلة من القتل؟!

ما الذي يجعل إنساناً ويضطره لأن يزور .. ويكذب .. ويُعذب .. ويقتل

أمريض هؤلاء الناس؟!

أمصابون بانفصام في شخصيتهم ..

أم ماذا بالضبط؟!

في الجاهلية .. الجاهلية .. كان يأنف العربي أن يكذب حتى على ناقته ...

أريد أمنيك الشراب لتهدئي

ولكن عار على الكاذبين يحول ..

فما بال هؤلاء الناس يستمرئون الكذب والغش تحت مسميات التحريات السرية .. ملعونة هذه التحريات .. وملعون من أجراها

ترى كم من البشر جنت عليهم هذه التحريات!؟

ترى كم من البيوت هدمت من جرأ هذه التحريات!؟

هل هذا وطن أم معتقل أم وكر ذناب..

وطني هل أنت بلاد الأعداء..

هل أنت بقية داحس والغبراء ..

أقذني فرائحة اللحم البشري مخيف..

أقذني من أقسام الشرطة..

والتي غدت أماكن للتعذيب وللقتل مخيف..

في أقسام الشرطة..يستكمل بعض الضباط رجولتهم..

أولئك أعداؤك يا وطني..

بقيت كلمة أقولها لهؤلاء...هؤلاء التابعين...وتابعي التابعين

إذ تبرأ اللذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب..

"وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص فلا تلوموا إلا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي" صدق الله العظيم

أيها السادة

ها هي روح قد أزهقت ظلماً وعدواناً....روح صعدت إلى بارئها تشتكي إليه ظلم العباد وتشكو له ظلم أقسام الشرطة وأشباه الرجال

اللهم إنا نشهدك أن هذه الروح ماتت بغير حقها

وأن لنا حقاً لن نسامح فيها

فأقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا...

ويوماً ما...سيقف الظالم والمظلوم والقاتل والمقتول أمام الحاكمين أمام الواحد الديان..

(يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مُقرنين في الأصفاد
سرايلهم من قطران وتنفس وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب)

هذا بلاغ

(للناس ولينذروا به وليعلموا إنما هو إله واحد ولينتنكر أولوا الألباب)